



## إببارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات

إبريل ٢٠١٨

أبنائي وبناتي الأعزاء،

المسيح قام! أتمنى لكم جميعاً عيد قيامة مبارك، وأصلي دوماً لكي تتمتعوا ببهجة أيام الخمسين المقدسة، وتقضونها بنفس الروح والقوة التي قضيتم بها الصوم الكبير وأسبوع الآلام المبارك.

نعم. أنا أصلي من أجل هذا، ولكن ربما قد لا يكون هكذا هو الحال بالنسبة لنا جميعاً، قد يجد البعض منا، أنه على الرغم من أننا نعبر عن فرحتنا بالقيامة، وبالرغم من أن الكنيسة تحتفل بتذكار قيامة ربنا يسوع المسيح من بين الأموات، إلا أننا داخلياً قد لا نجد أنفسنا في نفس الروح، بل بالحري نجد أنفسنا مازلنا أمواتاً داخل القبر، منتظرين أن نقوم من موت الجفاف الروحي.

إذاً، ما الذي يجب علينا فعله عندما نكتشف إننا لم نقم بعد مع القائم من بين الأموات؟!

على الرغم من أننا ندرك أن هذا الوقت المضطرب هو الوقت الأمثل للمثابرة والنمو الروحي، إلا أننا قد لا نعرف كيفية التعامل مع هذه الحالة التي نمر بها. هل نتراجع ونتوقف عن كل تدريباتنا الروحية؟ هل نسعى لتغيير أحوالنا؟ ماذا يكون الحل؟ ...

أنا لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال في صيغة معينة، لسبب بسيط، وهو أن كل واحد له جهاده الخاص حسب إمكانياته، والله يُنقي ويكمل كل واحد بطريقته الخاصة. لكن بشكل عام يمكنني اقتراح ثلاثة أمور يمكننا القيام بها خلال هذا الوقت بالذات:

أولاً: أن ندعو مخلصنا ليحفظنا ويحمينا من الخطية.

ثانياً: إلا نستسلم للإهمال والكسل، بل نبقى أمناء في أداء واجباتنا.

ثالثاً وأخيراً: ننتظر الرب.

"وَلَكِنْ لَمَّا رَأَى الرِّيحَ شَدِيدَةً خَافَ. وَإِذْ ابْتَدَأَ يَغْرُقُ، صَرَخَ قَائِلاً: «يَارَبُّ، نَجِّنِي!»". (مت ١٤: ٣٠)

في هذه القصة بدأ القديس بطرس بروح حماسي، وطلب بشجاعة من الرب يسوع المسيح أن يأمره أن يأتي إليه ماشياً على الماء... كان كل شيء يبدو على مايرام في البداية، إلى أن تغيرت الظروف الخارجية، وأصبحت معقدة بعض الشيء عما كانت عليه عندما بدأ. ثم ماذا حدث؟ كما نعلم، فقد دخل الخوف والشك في قلب القديس بطرس، وبدأ في الغرق. هكذا يكون حالنا في وقت التجربة... نتزعزع ونرتاع مصدرين ردود أفعال هدامة ومدمرة. ومع ذلك، فإن جمال هذه القصة هو اعتماد القديس بطرس على الرب يسوع وهو في وسط العاصفة. فحالمأ بدأ القديس بطرس في الغرق، صرخ طالباً النجاة: "فَفِي الْحَالِ مَدَّ يَسُوعُ يَدَهُ وَأَمْسَكَ بِهِ" (مت ١٤: ٣١).

هذا هو ما أحبه كثيراً في شخصية قديسنا المحبوب بطرس الرسول – على الرغم من أن الكتاب قد سمح لنا بمعرفة بعض نقاط ضعفه – إلا أنني لا أعتقد أنه يمكننا أن نفهم أنه يعاني من الضعف، لكننا يمكننا أن ندرك ونتعلم أن عينيه كانتا دائماً شاخصتين نحو سيده، وهكذا، حتى إذا سقط، فإنه كان قادراً على أن يقول بكل ثقة: "لَا تَشْمَيْ بِي يَا عَدُوِّي، إِذَا سَقَطْتُ أَقُومُ. إِذَا جَلَسْتُ فِي الظُّلْمَةِ فَالرَّبُّ نُورٌ لِي". (ميخا ٧: ٨).

إن قلة حرصنا في فترات الجفاف الروحي، تجعلنا نخطئ كثيراً في حق أختوتنا، وتجعلنا نهمل في واجباتنا. هنا نقع في خطر كبير بسيرنا وراء إرادتنا الذاتية، فبمجرد أن تجدنا الشياطين وقد تملكنا الرغبة في اتباع مشورتنا الخاصة، مهما بدت لنا حسنة، عندئذ تكون مهمة مهاجمتها لنا غاية في

السهولة (أي نصيح فريسة سهلة) ... نبدأ في تفويت صلوات المجمع مفضلين البقاء في قلايينا، حتى في الوقت الذي يكون لدينا مسئولية خارجها كان ينبغي علينا إتمامها... نقع في الكبرياء وعدم طاعة الشيوخ...

يقول القديس يوحنا كاسيان: "إن جهادنا السادس هو ضد شيطان الفتور الذي يعمل يد بيد مع شيطان الكآبة. أنه شيطان قاسي ومتعب، يهاجم الراهب دائماً، ويحط عليه في الساعة السادسة (وسط النهار)، ويجعله متوانياً ومملوئاً خوفاً، ويبث فيه روح الكراهية تجاه ديره، أنه يرافق الراهب إلى أي عمل من أي نوع، وحتى في قراءة الكتاب المقدس... وحينئذ يجعل الراهب يعتقد بأنه لن يستطيع أن يخلص نفسه من هذا المرض المحزن، إلا بواسطة الذهاب لزيارة الأخوة باستمرار... وعندما لا يستطيع أن يضلله بهذا الأسلوب، فإنه يضعه في أعرق نوم، وبسرعة تصبح هجماته أقوى وأكثر عنفاً، ولا يمكن قهره إلا من خلال الصلاة، ومن خلال تجنب الكلام الغير النافع، ومن خلال دراسة الكتاب المقدس، ومن خلال الصبر في مواجهة التجربة. وإذا وجد الراهب غير محمي بهذه الأسلحة، فإنه يصصره بسهامه، جاعلاً إياه عنيداً وكسولاً، وهانماً على وجهه". وعلاوة على ذلك يذكر أن: "آباء مصر القديسين الذين نشأوا على أسس هذه الوصايا الرسولية، لا يسمحون للراهب أن يكونوا بلا عمل في أي وقت، وخاصة عندما يكونوا شبان. أنهم يعرفون أنه بالمثابرة على العمل يطرد الراهب الفتور... الآباء قالوا هذا أيضاً كقاعدة إن من يعمل لا يهاجمه ويضايقه سوى شيطان واحد، بينما من لا يعمل يؤخذ أسيراً لألف روح شرير".<sup>(١)</sup>

أحبائي، فلنتذكر كلمات أبا زكريا الذي قال: "في رأيي، الراهب هو من غصب نفسه في كل شيء".<sup>(٢)</sup> الفترة المظلمة هي ليست وقت رفع الراية البيضاء، بل بالعكس تماماً، هي وقت القتال والحرب وشدة الجهاد.

أخيراً يجب على الواحد منا أن ينتظر الرب. فنحن لا نقدر أن نقتنص النصر بأنفسنا، بل يمنحه لنا الله، لذا يجب أن نتقبل باتضاع فتراتنا المظلمة، ونثق أننا على الرغم من عدم إحساسنا بنعمة الله القوية كعادتنا دائماً، إلا أن الله يتابعنا ويرعانا باستمرار، فإذا وقعنا تحت الاختبار، فيقيناً سوف ندعو مخلصنا ليمد إلينا يده ويرفعنا، وسنكون أمناء في كل ما يُطلب منا مع الصلاة والشكر، لأننا نُقر بأن هذه هي مهمتنا البسيطة، تلك التي كانت ممتعة في وقت من الأوقات، أما الآن فقد أصبحت، بسبب ضعف قدرتنا على المثابرة مع أنفسنا، عبء ثقيل يثقل كواهلنا.

في نهاية المطاف، سوف تمر هذه الفترة المُقفرة أجلاً أم عاجلاً، لكننا لا يمكننا أن ننتظر بشكل سلبي لساعات وأيام إلى أن تمر وتعب، في انتظار أن نحصل على معونة أخيراً، لأن هذا سيميز بين من يخرج منها مجروح أو مشوه، ومن يخرج منها قوي ومستدير.

عندما يكون للجندى إخلاص شديد الحرارة لملكه، فإنه سيكون مستعداً للموت في سبيل الدفاع عن بلاده، حتى لو حدث أن استمر هذا الجندي لسنوات محارباً بعيداً عن وطنه، شاعراً بالغربة والتخلي، فإنه سوف يرجع ثانية ويعود إلى ملكه، حاملاً عدة حربه، وينضم مرة أخرى إلى قوات الملك، مستمراً في القتال، ومواظباً على دخول المعارك.

الله قادر أن يعطينا السلام والفرح، والقوة في أوقات التجارب، ونحن محتملين بصبر، إلى أن نقوم مرة أخرى.  
والمجد لله دائماً. آمين

(١) الفيلوكاليا "النصوص الأصلية الكاملة" المجلد الأول. القديس يوحنا كاسيان، في الخطايا الثمانية، في الفتور. ترجمة القس أغاثون الأنطوني. مطرانية بني سويف. الطبعة الأولى ٢٠٠٩، ص ٨٦ - ٨٨.

(٢) أقوال الآباء الشيوخ. الأب زكريا. منشورات النور ١٩٩٠. ترجمة معهد القديس يوحنا الدمشقي، ص ١١٣.